أحاشى التى تُنمى إليها وأنتحى بها أمُّك الأخرى التى سوف تظهرُ
عَساك أفادَ تْكَ الدَّعارَةُ نخوةً فغرّتكَ منى والجهولُ مُغمَّرُ

فهى تدعو إليها الرجال حين يلوون عنها وجه الطاب ، فكأن فى جسدها ما لا يصبر على طعام واحد . وهذا من الدعارة بحيث يمسّ نخوة المهجو ويفعل فى كرامته فعل النار فى الهشيم والمعول فى البناء .

وابن الرومى يسير إلى أبعد من هذا فى هجاء الأعراض فيقول فى ابن الخبازة وأمه « بوران » ، مالا تنفع معه الدّروع ، ولا يجدى فيه الحرص ، لأنه يمزّق كل حجاب ويُصيب من الشرف مرضاً عضالا :

شَملَ الناسَ عَدْلُ أمكَ حتى سَارَ فيهم كسيْرِ جَوْرِ « سدومِ »
كثُرَتْ موبقاتُ بُورانَ حتى ضَاقَ عنها عَفوُ الغفور الرحيم
لَوْ أطاعتْ كما عَصَتْ لاستحقَّتْ خِلَّةَ الله دُونَ إبراهيم

وما هذا العدل الذى وَزَّعته بوران على الناس حتى شَملَ كلاً منهم بنصيب ، وأصاب كلاً منهم بحصّة ، وهل ثمة عدل فى الدنيا يصل إلى الناس جميعاً ، وهل ثمة امرأة تكفى الناس جميعاً . إنها « بوران » التى كثرتْ موبقاتها حتى ضاق عنها عفو الله العظيم ، وعَمت معاصيها حتى بلغت فى عددها حسنات نبىّ الله إبراهيم الخليل . وليس هذا فحسب وإنما سار الشاعر فى فى سبيله يصف هذه المرأة ويصوّرها للناس فى أمثال وتشبيهات يعيينا سردها هنا ، وإنما نستجيز لأنفسنا رواية بيتين آخرين يقول فيهما :

ناقضَتْ « مَرْيَمَ » العفافَ فلما قاوَمتها بالغىّ والتأثيم
حمدت فى الزّنى تناسُلَ « حوّا ءَ » فحوّاءُ عندَها كالعقيم

وبذلك يبلغ قمة الإقذاع إنْ كان للإقذاع قمة ، ويصل إلى ذرى الهجاء فى النيل من مهجوّيه ، فيرسم الأعراض رسماً جامحاً لا نجدُ له مثيلا فى الأدب العربى كله ، مما يحمل ابنَ الرومى إلى مصاف السبابين الهجائين فى الأدب العالمى . ولو استبحنا لقلمنا أن يجول فى هذه الصور التى خلفها الشاعر فى بوران ، لنقلنا صورتها تفعل فى المحاريث ، وتطيع الشيطان